المراحل التاريخية . ولمعرفة هذا الدور في حياة الفلسطينيين ، يجب التوغل أعمق فاعمق في طبيعته وتحليل نماذجه المختلفة وتعدد روابطه وعلاقاته مع ظواهر الواقع الأخرى . وهذا النقص في الدراسة ، بحد ذاته ، سبب كاف لجعل ضرورة الاستكمال قضية راهنة ، فالمشوار طويل وضعب .

٥ ـ اما خامس ملاحظاتنا العامة ، فتدور حول طريقة تعامل الشعيبي مع المصطلحات والوقائع المشهودة في التاريخ الفلسطيني . فهو (على سبيل المثال لا الحصر) يصف مذابح ايلـول وجرش والاحراش في الاردن بـ « الصدامات » وبـ « الاحداث » كما يسمي مجزرة فردان بالحادثة أيضا وهو يسمي الفلسطينيين في وطنهم بـ « العرب في اسرائيل » ، وبـ « الاقلية العربية في اسرائيل » ، ويسمي فلسطين بـ « الارض المحتلة » . اما ردود فعل اهلنا في الضفة الغربية على مجازر ايلول فيصفها الكاتب بالانفصالية الخطرة ، واغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ يسميه الكاتب « احداث عام ١٩٤٨ » . إن هذا النهج في التعامل مع الوقائع قد اوقع الشعيبي في اخطاء فاحشة كان في غنى عنها بالتأكيد . فاختيار موقف ما في التحليل الملتزم الذي يستدعي الموقفية شيء ، وهو حق وواجب ، اما الحياد الميكانيكي فهو شيء آخر .

٦ ـ على مايبدو، ودون ان نسيء الظن ، فإن حمى التطبيـع المصري مـع العدو قـد وصلتنا نحن الفلسطينيين ، بل اخشى ان تكون قد وصلتنا دون وعي . والا فكيف يجوز لكاتب مناضل ان يستخدم لغة العدو ومصطلحاته السياسية في كتاباته الملتزمة ؟ ففلسطين سيبقى اسمها في اذهان كل المناضلين فلسطين لا الاراضي المحتلة ، والحكومة الاسرائيلية ستبقى حكومة العدو الاسرائيلي . والفلسطينيون في فلسطين المحتلة لا يجوز لنا ان ننساق وراء الاعلام الصهيوني فنسميهم بالعرب او بالاقلية العربية داخل اسرائيل ، كما فعل الاخ الشعيبي في ثنايا بحثه هذا ، ووقع طائعا مختارا في شرك مصطلحات العدو الزائفة .

وبعد ، فهذه نصف كلمة او ربع كلمة في ملاحظاتي العامة على الدراسة ، لان ثمة ملاحظات كثيرة فيها تحتاج الى نقاش ، الا ان اسباباً كثيرة تضطرني الى التوقف دونها والانتقال الى بعض الملاحظات الخاصة بصورة سريعة لاننا لسنا بصدد وضع دراسة مضادة :

١ ـ موضوع مجلة « فلسطيننا » : إن حماس الشعيبي ـ وليس في مثل هذا الامر غضاضة ـ لبعض قناعاته المسبقة ، دفعه الى تضخيم اعتماده على افتتاحيات هذه المجلة ، باعتبارها اول مطبوعة علنية لـ « فتح » . وهنا لا بد من كلمة توضيح ضرورية : فهذه المجلة التي كان يشرف عليها الحاج توفيق حوري (لا الاخ «ابو عمار » ولا الاخ «ابو جهاد »)، كان هو كاتب كل افتتاحياتها ، وقد قام بتوقيعها باسمه الصريح (ما عدا افتتاحية العدد الاول) ، وقد كان الحاج توفيق يصدر في كتاباته تلك عن قناعاته الشخصية لا عن فكر « فتح » الذي لم يكن قد تبلور ولا تحددت خياراته النهائية آنذاك . فهل يجوز اعتبار هذه الافتتاحيات ، بل وكل هذه الوثيقة ، التي لم تكن سوى إطار فكري تكتب فيه اكثر من مجموعة دون ان ترسم جهة سياسية موحدة او هيئة تحرير تابعة لهذه الجهة او تلك سياسة اعلامية رسمية لها ، مصدراً وثائقيا رسميا لـ « فتح » بحصر المعنى ؟ إن الحماس وحده هو الذي يدفع في بعض الاحيان الى تضخيم اهمية المصدر والى الاسترسال في الكتابة على الموضوع وعقد سلسلة من المقارنات نقلا عنه ، دون الالتفات او المراعاة لحجمه الفعلي في التاريخ .

٢ ـ يحاول الشعيبي ، في الصفحة ٥٧ من كتابه ، تفسير البطء الشديد في نمو حركة « فتح » وفي عزلتها التامة عن الشعب الفلسطيني ، بكونها كانت تسبح ضد التيار عندما بشرت بافكارها حـول الكيان الفلسطيني . ونحن نرى أن هذا التفسير مجاف للحقيقـة ؛ فـ « فتح » في تلـك الفترة (اواخـر الخمسينات وأوائل الستينات) بطرحها الكياني كـانت تسبح في صلب التيـار الرسمي العـربي والجماهيري . فالظروف كانت مواتية ، لأن اروقة الجامعة العربية كانت تعج بالفكرة الكيانية التي اطلقها عبد الناصر ضمن التوجه القومي له ، والتي دعا لمثلها عبد الكريم قاسم في العراق وحزب البعث العربي في سوريا وحركة القوميين العرب في تزامن ملفت للانتباه . امـا على الصعيـد الجماهيـري الفلسطيني ، فقد كان للاتحاد العام لطلبة فلسطين ، ومن قبله للروابط الطلابية الفلسطينية في القاهرة ودمشق وبيروت وللمجلس التشريعي في غـزة ، وللاتحاد القومي العربي الفلسطيني في غزة وسوريا ،